

التحرير والتنوير

مع بشارة المسلمين بأن حظهم في هذا الصنف كحظ المؤمنين السالفين أصحاب الرسل لأن المسلمين كانوا قد سمعوا في القرآن وفي أحاديث الرسول A تنويها بثبات المؤمنين السالفين مع الرسل ومجاهدتهم وربما خامر نفوسهم أن تلك صفة لا تنال بعدهم فبشرهم [] بأن لهم حظا منها مثل قوله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) إلى قوله (وكأين من نبي قاتل معهم ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل [] وما ضعفوا وما استكانوا و[] يحب الصابرين) وغيرها تلهيبا للمسلمين وإذكاء لهممهم في الأخذ بما يلحقهم بأمثال السابقين من الأولين فيستكثروا من تلك الأعمال . وفي الحديث " لقد كان من قبلكم يوضع المنشار على أحدهم فينشر إلى عظمه لا يصده ذلك عن دينه " .

والثلة : بضم الثاء لا غير : اسم للجماعة من الناس مطلقا قليلا كانوا أو كثيرا وهذا هو قول الفراء وأهل اللغة والراغب وصاحب لسان العرب وصاحب القاموس والزمخشري في الأساس وقال الزمخشري في الكشاف إن الثلة : الأمة الكثيرة من الناس ومحملة على أنه أراد به تفسير معناها في هذه الآية لا تفسير الكلمة في اللغة .

إلى للإشارة النعيم من لهم ما ذكر على قدم بالعزة الإشعار من الاعتراض هذا في ولما A E عظيم كلفيته المناسبة لوصفهم ب (السابقين) بخلاف ما يأتي في أصحاب اليمين . ومعنى (الأولين) قوم متقدمون على غيرهم في الزمان لأن الأول هو الذي تقدم في صفة ما كالوجود أو الأحوال على غير الذي هو الآخر أو الثاني فالأولية أمر نسبي يبينه سياق الكلام حيثما وقع .

فالظاهر أن (الأولين) هنا مراد بهم الأمم السابقة قبل الإسلام بناء على ما تقدم من أن الخطاب في قوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) خطاب لجميع الناس بعنوان أنهم ناس لأن المنقرضين الذين يتقدمون من أمة أو قبيلة أو أهل نحلة يدعون بالأولين كما قال الفرزدق : . " ومهلل الشعراء ذاك الأول وقال تعالى (أو آباؤنا الأولون) الذين هم يخلفونهم ويكونون موجودين أو في تقدير الموجودين يدعون الآخرين .

وقد وصف أهل الإسلام بالآخرين في حديث فضل الجمعة " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا " الحديث . وإذا قد وصف السابقون بما دل على أنهم أهل السبق إلى الخير ووصفت حالهم في القيامة عقب ذلك فقد علم أنهم أفضل الصالحين من أصحاب الأديان الإلهية ابتداء من عصر آدم إلى بعثة محمد A وهم الذين جاء فيهم قوله تعالى (مع الذين

أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) .

فلا جرم أن المراد ب (الأولين) الأمم الأولى كلها وكان معظم تلك الأمم أهل عناد وكفر ولم يكن المؤمنون فيهم إلا قليلا كما تنبئ به آيات كثيرة من القرآن .

ووصف المؤمنون من بعض الأمم عند أقوامهم بالمستضعفين وبالأردلين وبالأقلين .

ولا جرم أن المراد بالآخرين الأمة الأخيرة وهم المسلمون .

فالسابقون طائفتان طائفة من الأمم الماضين ومجموع عددها في ماضي القرون كثير مثل أصحاب موسى عليه السلام الذين رافقوه في التيه ومثل أصحاب أنبياء بني إسرائيل ومثل الحواريين وطائفة قليلة من الأمة الإسلامية وهم الذين أسرعوا للدخول في الإسلام وصحبوا النبي A كما قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) وإذا قد كانت هذه الآية نزلت قبل الهجرة فهي لا يتحقق مفادها إلا في المسلمين الذين بمكة .

و (من) تبعيضية كما هو بين فاقضى أن السابقين في الأزمنة الماضية وزمان الإسلام حاضره ومستقبله بعض من كل والبعضية تفتضي القلة النسبية ولفظ (ثلة) مشعر بذلك ولفظ (قليل) صريح فيه .

وإنما قول لفظ (ثلة) بلفظ (قليل) للإشارة إلى أن الثلة أكثر منه . وعن الحسن أنه قال : سابقوا من مضى أكثر من سابقينا .

وروي عن أبي هريرة أنه لما نزلت (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) شق ذلك على أصحاب النبي A وحزنوا وقالوا : إذن لا يكون من أمة محمد إلا قليل فنزلت نصف النهار (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) فنسخت (وقليل من الآخرين)